جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
قسم التفسير وعلوم القرآن

الماء
في القرآن الكريم والعلم الحديث

دكتور
محمد عبد الغنى عبد العزيز سلامة
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله بارئ البريات، المطلع على الضمائر والنيات، أحمده سبحانه وأشكره، أحاط بكل شئ علماً ووسع كل شئ رحمة وحلماً ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وكل شئ عنده بمقدار ...

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء، وأكرم من مشى تحت أديم السماء ... وبعد :

فإن الماء سر من أسرار الحياة .. وأصل من أصولها التي لا يمكن لها أن توجد بدونه .. ينزل من السماء .. ويخرج من الأرض .. وتتشقق منه الجبال .. وتتصدع عنه الحجارة .. ويتلذذ بذكره الأدباء .. ويتغنى بسلسبيل نظمه الشعراء .. تصوره يرطب القلوب .. وذكره يهز النفوس .. هو السائل الرقراق الشفاف المبارك الطهور، الذي قال الله – تعالى – عنه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [1]. والماء من أعظم ما امتن الله تعالى به على عباده فقال – تعالى –: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾ [2].

إن ذكر الماء في كتاب الله تعالى بمفرداته ومكوناته من البحار والأنهار والسحاب يدل على عظم أثره في حياة البشرية .. هذا السائل المبارك هو أغلى ما تملك الإنسانية لاستمرار حياتها– بإذن الله تعالى – أدرك ذلك الناس كلهم كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، حاضرهم وباديهم .. ووجود الإنسان مرتبط ارتباطاً

---

[1] سورة الأنبياء، آية: 30.

[2] سورة الواقعة، آية: 68 – 70.

وثيقاً بوجود الماء، فهو مصدر الشرب .. والزراعة .. والرعي .. وهو عامل هام من العوامل التي تقوم عليها الصناعات الحديثة في عصرنا الحاضر ... إلخ.

ونظراً لأهمية الماء جعله الله - تعالى - حقاً شائعاً بين البشر جميعاً، فحق الانتفاع به مكفول للجميع بلا احتكار ولا منع عن الآخرين، كما قال رسول الله (ﷺ) : (الناس شركاء في ثلاث. في الماء والكلأ والنار)[1].

وقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن ترتبط جميع أشكال الحياة على الأرض بالماء من إنسان وحيوان ونبات .. ولحكمة أرادها الخالق - سبحانه وتعالى - جعل المساحة الغالبة على سطح الأرض مساحة مائية تغطيها البحار والأنهار والمحيطات .. حتى إن بعض علماء الجيولوجيا يحلو لهم أن يطلقوا على الأرض اسم الكوكب المائي بدلاً من الكوكب الأرضي...

وقد ورد ذكر الماء في آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة وبأشكال عديدة .. فمرة يأتي مطلقاً بدون قيد .. ومرة يأتي مقيداً بالوصف كعذب فرات وملح أجاج، أو بالإضافة كماء السماء وماء الأنهار والبحار .. ومرة أخرى يأتي مرتبطاً بالخير والنماء وإخراج الثمرات وإحياء الأرض الميتة .. إلى غير ذلك.

ولقد حفزني هذا وغيره - بعد استخارة ربي - أن أسطر بقلمي بحثاً متواضعاً في (**الماء في القرآن الكريم والعلم الحديث**) .. وقد اشتملت الدراسة على مقدمة 00 وثمانية مباحث 00 وخاتمة .. وخطتي فيها ما يلي :

أولاً: المقدمة .. وفيها بينت أن الماء سر الحياة وأصل من أصولها. ثم ذكرت خطتي التي سرت عليها في كتابة هذا البحث.

---

[1] أخرجه الإمام مالك فى الموطأ كتاب الصرف وأبواب الربا باب الصلح فى الشرب 277/3 ط دار القلم دمشق، الأولى 1413هـ - 1991م. - وأخرجه الإمام البيهقى فى السنن الكبرى بلفظ "المسلمون شركاء فى ثلاث ... " كتاب إحياء الموات باب ما لا يجوز إقطاعه من المعادن الظاهرة 150/6 رقم الحديث 12177 ط مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند الأولى 1344 هـ. - وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده 364/5 رقم الحديث 23132 وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. ط مؤسسة قرطبة، القاهرة.

ثانياً: المباحث :

المبحث الأول : تعريف الماء في كل من اللغة واصطلاح العلماء والعلم الحديث.

المبحث الثاني: خلق الماء بين القرآن الكريم والعلم الحديث.

المبحث الثالث : مصادر الماء بين القرآن الكريم والعلم الحديث.

المبحث الرابع : علاقة الماء بحياة الأرض وإخراج النبات والثمار.

المبحث الخامس: الماء وأهميته في حياة الإنسان.

المبحث السادس: القرآن الكريم يتحدث عن خزانات الماء الموجودة تحت سطح الأرض.

المبحث السابع: العلاقة بين الجبال الشامخات والماء الفرات.

المبحث الثامن: دورة الماء في القرآن الكريم والعلم الحديث.

الخاتمة: وتشتمل على :

1 - أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

2 - فهرست المصادر والمراجع.

3 - فهرست الموضوعات.

والله - تعالى - أسأل أن ينفع بهذا العمل، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ويتجاوز عن التقصير والخلل .. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وسلم تسليماً كثيراً.

محمد عبد الغنى سلامة

المبحث الأول

تعريف الماء في اللغة واصطلاح العلماء

الماء في اللغة :

أصل الماء: موه -بفتح الميم والواو- وجمعه في القلة: أمواه، وفى الكثـرة: مياه .. مثل جمل وأجمال وجمال .. والنسبة إلى الماء: مائي وماوى .. والماء اسم جنس يطلق على القليل والكثير، وإنما جمع لكثرة أنواعه وأقسامه، والهمـزة فيـه مبدلة من الهاء في موضع اللام، وأصله موه بالتحريك[1].

الماء في اصطلاح العلماء :

هو سائل لطيف شفاف، منه العذب الذي يكون به الري عند تناولـه، كمـاء السماء وماء الأنهار، ومنه الملح الذي لا يشرب كماء البحار[2].

الماء في ميزان العلم الحديث :

هو سائل شفاف لا لون له ولا طعم ولا رائحة - إلا إذا كان الجسم المـائي كبيراً أو عميقاً فعندئذ يبدو أزرقاً - عليه عماد الحياة، يتركب مـن اتحـاد ذرتـي هيدروجين وذرة أكسجين، يرتبط بعضها مع بعض بروابط كيميائية قوية، ويرمـز له بالرمز H_2O[3] ، والهيدروجين غاز يمتاز بقابليتـه للاشـتعال فـي حـين أن الأكسجين لا يشتعل وإنما يساعد على اشتعال النار واشتداد أورها، واتساع لهيبها، ومع ذلك فإننا نستعين بهذا الماء على إخماد النار وإطفاء حرائقها مـا دام هـذان الغازان بحالة اتحاد، أما إذا انفصلا وأصبح كلّ منهما طليقـاً أتـيح للهيـدروجين

---

[1] يراجع الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للعلامـة الجـوهرى 2250/6، تحقيـق: أحمـد عبدالغفور عطا، ط. دار العلم للملايين، بيروت - والمعجم الوسيط، جمع مجمع اللغة العربية 899/2، ط. المكتبة العلمية، طهران.

[2] يراجع معجم ألفاظ القرآن الكريم إعداد مجمع اللغة العربية 669/2ط الهيئة المصرية العامة.

[3] فالرمز H_2 يعنى ذرتى هيدروجين .. والرمز O يعنى ذرة أكسجين وفى خلق المـاء منهمـا عبرة وعظة للموقنين.

الاشتعال وأعان الأكسجين على اشتداد السعير .. وإذا جاء أمر الله - عز وجل - لهذا الانفصال أن يحدث في ماء البحار حلت الكارثة ووقعت الواقعة، فتندلع النيران حتى تعم الأرجاء الشاسعة المترامية التي تشغلها المحيطات والبحار لتأتى على ما حولها وتدمره تدميراً.

ولعل هذا يلفت الأنظار إلى أن اتحاد الذرات وانفصالها يتم وفق قوانين دقيقة ونظام محكم، وكل شئ في الحياة يتم وفق نواميس تحكمها إرادة الله- عز وجل-[1].

---

[1] يراجع الماء فى القرآن والسنة والعلوم الحديثة للأستاذ/ عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود، ص: 7 - 8، بتصرف يسير، ط. وزارة الأوقاف المصرية، 1426هـ - 2006م.

المبحث الثاني

خلق الماء بين القرآن والعلم الحديث

ذكر الله – تعالى – في كتابه المجيد آية تقرر أنه من قبل الخلق لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ومن فوقه عرش الرحمن .. ثم خلق سبحانه السموات والأرض في ستة أيام فقال– تعالى – : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [1].

يقول العلامة النسفى – رحمه الله –: ما كان تحت العرش خلق قبل خلق السموات والأرض إلا الماء، وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض[2].

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة مفسرة لهذه الآية ومؤكدة لهذه الحقائق الغيبية .. ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق قال رسول الله (ﷺ): "كان الله ولم يكن شئ غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شئ، ثم خلق السموات والأرض ..." [3].

يقول العلامة ابن حجر: معناه أن الله– تعالى– خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء ..." [4].

---

[1] سورة هود، آية: 7.

[2] يراجع تفسير النسفى للعلامة أبى البركات عبدالله النسفى 180/2 : 181، د. دار الفكر.

[3] أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء 428/4، رقم الحديث 7418.ط المكتبة السلفية –القاهرة . – وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده 431/4 رقم الحديث 1989 .

[4] يراجع فتح البارى لشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى 387/6 ط دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

وهذا يؤكد ما أقرته الآية الكريمة ﴿.. وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾ من كون الماء خلق قبل السموات والأرض.

وهنا نتساءل: هل كان العرش أسبق في الخلق أو الماء أو الريح الذي كان الماء على متنه؟ كما ورد في الخبر الصحيح الذي رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل عن قوله -عز وجل -﴿ وكانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾ على أي شئ كان الماء؟ قال: على متن الريح[1].

والحقيقة أنه لا يستطيع أحد أن يجزم بأسبقية أحدهم في الخلق والوجود إلا بنص، ولا نص في ذلك .. ولأجل هذا قال العلامة الألوسى: والآية لا تصلح دليلاً على كون الماء أول حادث بعد العرش[2].

ولكن الثابت من الآية الكريمة والأحاديث الشريفة أن العرش والماء والريح الذي كان الماء على متنها خلقوا قبل خلق السموات والأرض .. وهل الماء الذي خلق قبل خلق السموات والأرض لا يزال باقياً أو لا؟ وإذا كان باقياً فهل ظل في مكانه أو تحول إلى مكان آخر؟

الجواب: كل هذه الأمور غيب لا يعلمها إلا الله- تعالى -.. والظاهر بقاؤه تحت العرش .. لأن لفظ (كان) في الحديث عن الله- تعالى- وصفاته لا تدل على الزمان .. ويؤيد ذلك حديث مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)[3].

---

(1) أخرجه الإمام الحاكم فى مستدركه كتاب التفسير باب تفسير سورة التوبة 367/2، رقم الحديث 3293. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخارى ومسلم ط دار الكتب العلمية -بيروت -الأولي 1411هـ -1990م. - وأخرجه عبد الرازق في مصنفه باب بنيان الكعبة 90/5 رقم الأثر 9089، ط. المكتب الإسلامى، بيروت، الثانية 1403هـ. وهذا الخبر إن كان موقوفا على ابن عباس - رضي الله عنهما- فإنه في حكم المرفوع لأن مثل هذا لا مجال للرأى فيه.

(2) يراجع روح المعانى للإمام الألوسى 15/12، ط. دار الفكر، بيروت, 1414هـ - 1994م.

(3) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى -عليهما السلام -51/8، رقم الحديث 6919 ط دار الجيل بيروت- وذكره الإمام السيوطى فى جامع الأحاديث 289/15 رقم الحديث 15506.

بدون لفظ (كان).

وقد وردت بعض الآثار بهذا المعنى أو قريب منه. قال أبو مكين: سألت عكرمة عن البحر المسجور فقال: هو بحر دون العرش[1].

وقال علي (ﷺ) في قوله- تعالى -: ﴿والبحر المسجور﴾ [2] : تحت العرش فيه ماء غليظ، ويقال له بحر الحيوان، يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم[3].

وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس قال: كان عرشه على الماء، فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء قسمين، فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور، فلا تقطر منه قطر حتى ينفخ في الصور، فينزل منه مثل الطل فتنبت منه الأجسام، وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى[4].

فهذه الآثار - إن صحت - تدل على بقاء ذلك الماء إلى يوم القيامة .. لكنها تشير إلى اختلافه عن الماء الذي نعرفه، فهو ماء غليظ تنبت منه الأجسام يوم القيامة[5].

وعلى كل: فإن ذلك من الأمور الغيبية التي لا ينبغي الخوض فيها من غير دليل من كتاب أو سنة صحيحة .. وعدم العلم بها لا يضر.

ثم يأتي العلم الحديث ليؤكد ما ذكره القرآن الكريم وأقرته السنة النبوية الشريفة:

---

[1] تفسير القرطبي 517/19 تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، 1427هـ - 2006م.

[2] سورة الطور، آية 4.

[3] يراجع تفسير القرطبي 62/17 تحقيق هشام البخاري ط دار عالم الكتب، الرياض -ومعالم التنزيل للبغوي 386/7، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة، 1417هـ - 1997م. - والبحر المحيط لأبي حيان 155/10 ط دار الكتب العلمية بيروت .

[4] يراجع الدر المنثور للإمام السيوطي 349/3، ط الأنوار المحمدية القاهرة، 1410هـ. وروح المعاني الألوسي 14/12 .

[5] يراجع حديث القرآن عن الماء للأستاذ الدكتور/ نبيل محمد الجوهري، ص: 6 - 7 بتصرف يسير، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، العدد 14 للعام 1424هـ - 2003م، المجلد الأول.

فقد ذكر الباحثون في علم الأرض أن الماء الموجود على سطح الأرض قد خرج من باطنها، حيث قال – تعالى –: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [1].

فبعد أن تكونت القشرة الأرضية الصلبة بدأ الماء يخرج من باطن الأرض على شكل بخار مع الحمم التي تقذفها البراكين من باطن الأرض إلى سطحها .. ولو أن جميع ما في الأرض من ماء قد خرج من باطنها واستقر على سطحها لما وسعته المحيطات ولوصل ارتفاع الماء فوق سطح الأرض إلى ثلاثين كيلو مترا .. ولكن من لطف الله – تعالى– بالناس أن 90% من هذا الماء مازال محبوسا كبخار تحت القشرة الأرضية .. ويقوم هذا المخزون الضخم من الماء المحبوس تحت القشرة الأرضية بتعويض كمية الماء الموجود على السطح إذا ما نقص بسبب هروب بعضه إلى الفضاء الخارجي، أو اتحاده بشكل دائم مع بعض العناصر والمركبات الأرضية ... "[2].

---

[1] سورة النازعات، الآيتان: 30 ، 31.

[2] يراجع أسرار السموات والأرض فى القرآن الكريم تأليف / على محمد غصن، ص: 75 – 76 بتصرف يسير، ط دار العلم للملايين، 2006م.

المبحث الثالث

مصادر الماء بين القرآن والعلم الحديث

ذكر القرآن الكريم في كثير من الآيات عدداً من مصادر الماء .. وهو في جملته إما نازل من السماء وهو المطر .. وإما نابع من باطن الأرض وهو ماء العيون والآبار والينابيع وغيرها ويطلق عليه "المياه الجوفية" .. وإما موجود على ظهرها مثل ماء البحار والأنهار والمحيطات، ويطلق عليه "المياه السطحية الجارية"، ولم يقف الأمر عند هذا بل تحدث القرآن الكريم عن أحوال الماء .. فذكر أن منه ما يكون ظاهراً يجرى أو راكداً .. وقد يكون غوراً يعجز الناس عن طلبه فقال -تعالى- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [1] وقد يكون عذباً فراتاً كمياه الينابيع والأمطار والأنهار .. أو ملحاً أجاجاً كماء البحر فقال - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [2].

ومن أهم مصادر الماء ما يلي :

أولاً: الماء النازل من السماء :

المطر هو أحد أشكال التساقط المائي من السماء إلى الأرض، ويعتبر من أنقى صور المياه في الطبيعة، وهو الذي يطلق عليه "الماء المقطر"، ولكن قبل سقوطه على الأرض أو تلويثه بالملوثات الموجودة في الهواء، ويسميه القرآن الكريم بالماء الطهور فقال تعالى﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ [3].

وذلك لأن ماء المطر ناتج عن تبخر الماء من البحار وتكثفه على شكل غيوم ثم ينزل مطراً، لذلك هو ماء نقى تماماً، وماء المطر يستطيع نزع الأوساخ من

---

[1] سورة الملك، آية: 30.

[2] سورة الفرقان، آية: 53.

[3] سورة الفرقان، آية: 48.

على جلد الإنسان أكثر من الماء العادي .. فهو يعتبر مادة معقمة ومطهرة تستخدم في الطب، وهو خال من الفيروسات والبكتريا .. ومن فضل الله -عز وجل - أن هذا الماء يمتلك خاصية امتصاص المعادن والغازات والغبار وأي مادة تصادفه بنسبة كبيرة، لذلك فهو مادة مطهرة للجو- أيضاً -.. وهذه الخصائص العظيمة التي تميز بها ماء المطر عبر عنها ربنا - سبحانه وتعالى - في كلمة واحدة في قوله **﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾** [1].

وكلمة (مطر) الثلاثي لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة ويراد بها الماء النازل من السماء بسرعة وشدة وفيه نوع من أذى وضرر، وقد صرح القرآن الكريم بها في قوله - تعالى-:**﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُم وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾** [2].

وأما كلمة (أمطر) الرباعي فلم ترد في القرآن الكريم للدلالة على الماء النازل من السماء لينتفع به، وإنما كان ورودها مقرونة بالعذاب أو بإنزال غير الماء .. ويتضح ذلك في قوله- تعالى- **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾** [3].

وقال- تعالى- : **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾** [4]. وقال - تعالى - : **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾** [5]. وقال- تعالى - : **﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾** [6].

---

[1] يراجع الإعجاز العلمى فى السماء والأرض تأليف أسامة نعيم مصطفى، ص52، بتصرف وتدخل، ط دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2009م - والآية 48 من سورة الفرقان.

[2] سورة النساء، آية: 102.

[3] سورة الأعراف، آية: 84.

[4] سورة هود، آية : 82.

[5] سورة النمل، آية: 58.

[6] سورة الفرقان، آية: 40.

يقول العلامة ابن عاشور وغيره: إن (مطر) الثلاثي يقال فئ الخير، و"أمطر" الرباعي يقال في العذاب .. والمطر لا يقال إلا للماء المنكب في كثرة وسرعة[1].

ولقد ذكرت آيات القرآن الكريم أنواعاً للماء النازل من السماء .. ولكل نوع من هذه الأنواع من الخصائص والصفات ما يميزه عن غيره .. وهاك بيانها:

أولاً: الغيث :

ذكره الله - عز وجل - في قوله – تعالى- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [2].

وفى قوله – تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [3].

وفى قوله تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [4].

والغيث: هو المطر، وسمى الغيث غيثاً: لأنه يغيث الخلق .. وقد غاث الغيث الأرض : أصابها.

ويقول ابن منظور: الغيث: المطر والكلأ، وقيل الأصل المطر ثم سمى ما ينبت به غيثاً .. وغاث الغيث الأرض: أصابها[5].

والفرق بين الغيث والمطر: أن الغيث ما كان نافعاً في وقته، أما المطر قد يكون نافعاً وضاراً في وقته وغير وقته[6].

---

(1) يراجع التحرير والتنوير لابن عاشور، 237/5، ط الدار التونسية. – والكشاف للإمام الزمخشرى 73/2 ط دار المعرفة، بيروت. – والفتوحات الإلهية للجمل، 163/2، ط عيسى البابى الحلبى، القاهرة.

(2) سورة الشورى، آية: 28.

(3) سورة لقمان، آية: 34.

(4) سورة الحديد، آية: 20.

(5) ينظر لسان العرب لابن منظور، 175/2، مادة غيث، ط دار صادر، بيروت.

(6) يراجع تفسير القرطبى 476/18، تحقيق : الدكتور/ عبدالله عبدالمحسن التركى، بتصرف يسير، ط مؤسسة الرسالة.

نقول: إن الغيث هو المطر الذي ينزله الله – تعالى – رحمة منه عند شدة احتياج الخلق إليه، ليخرجهم من دائرة اليأس إلى دائرة الفرح والبشر.

ثانياً: الوَدْق :

ورد لفظ الودق في قول الله – تعالى – ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ** ﴾ [1].

والودق هو المطر القليل منه والكثير .. وقيل هو القطر، قال أهل اللغة: الودق: المطر كله شديدة وهينة، وقد ودق يدق ودقاً: أي قطر ..

قال عامر بن جوين الطائي[2]:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل أبقالها[3]

وودقت السماء وأودقت: أمطرت أو قطرت ماءً[4].

وعلى كل فهو نازل من خلال السحاب، أي من فرجه وثقوبه، سواء أكان مبدؤه من السحاب كأن ينزل من أعلاه فيمر من فرج وثقوب في أسفله، أم كان نازلاً من السماء ماراً بالسحاب من فرجه وثقوبه[5].

ثالثاً: الرجع :

وهو الوارد في قول الله – عز وجل – ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ [6].

---

[1] سورة النور، آية: 43.

[2] هو شاعر جاهلي وخطيب فارس من شعراء الجاهلية المرموقين وخطبائها وفرسانها.
– ينظر تراجم شعراء الموسوعة الشعرية 124/1 بدون .

[3] البيت فى مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس 451/1، ط اتحاد الكتاب العربى 1423هـ – 2002م. – وفى سر الفصاحة للأمير أبى محمد عبدالله بن سنان الخافجى الحلبى، ص84، ط دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ – 1982م.

[4] يراجع المخصص لابن سيدة – أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى الأندلسى – 436/2 تحقيق خليل إبراهيم جفال، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت، الأولى، 1417هـ – 1996م . – والكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد أبوالعباس، 207/2، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط دار الفكر العربى، القاهرة، الثالثة، 1417هـ.

[5] يراجع فتح القدير للشوكانى 42/4، ط. دار الوفاء. – وتفسير القرطبي 309/15، ط مؤسسة الرسالة.

[6] سورة الطارق، آية: 11.

والرجع هو: المطر .. قال بهذا جل علماء اللغة والتفسير .. ففي اللغة: الرجع : المطر .. وسمي بذلك: لأنه يرجع مرة بعد مرة .. وقال ثعلب: ترجع بالمطر سنة بعد سنة .. وقال الفراء: تبتدئ بالمطر ثم ترجع به كل عام[1].

وبهذا قال المفسرون .. فالإمام الرازي - رحمه الله- أورد في تفسيره أن المراد بالرجع المطر، لأنه يجئ ويتكرر، ونسب هذا القول للإمام الزجاج[2].

والإمام القرطبي قال في قوله- تعالى -: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ذات المطر، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامة المفسرين[3].

ويرى العلامة البغوى - رحمه الله- أن هذا الماء سمى بالرجع، لرد الهواء ما تناوله من الماء[4].

وقد جاء العلم الحديث ليؤكد هذا التفسير .. فقد اكتشف علماء الفلك والأرصاد الجوية أن طبقة التروبوسفير Troposphere التي هي إحدى طبقات الغلاف الجوى للأرض تقوم بإرجاع ما تبخر من الماء على شكل أمطار إلى الأرض من خلال دورة دائمة سميت بدورة تبخر الماء.

كما اكتشف علماء الفلك أن طبقة الثيرموسفير ***Thermosphere*** أيضاً تقوم بعكس وإرجاع موجات الراديو القصيرة والمتوسطة التردد AM و SW الصادرة من الأرض، وهذا ما يفسر إمكانية استقبال هذه الموجات من مسافات بعيدة جداً .. كما نصت على ذلك الموسوعة البريطانية ...

---

(1) يراجع المخصص لابن سيدة، 443/2، ط دار إحياء التراث العربي. ومختار الصحاح للرازى - محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر - 267/1، تحقيق: محمود خاطر، ط مكتبة لبنان، بيروت، 1415هـ - 1995م.

(2) يراجع تفسير الإمام الفخر الرازى، 120/31، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 1421هـ - 2000م - وأضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطى، 495/8، ط دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.

(3) ينظر تفسير القرطبي 215/22، تحقيق: الدكتور/ عبدالله عبدالمحسن التركى، ط مؤسسة الرسالة .

(4) يراجع معالم التنزيل للعلامة البغوى، 346/5، ط دار الفكر، بيروت، 1422هـ - 2002م.

يتضح مما سبق أن أهم صفة للسماء كشف عنها العلماء في القرن العشرين هي أنها ذات رجع .. فسبحان الله - تعالى - الذي قال في كتابه العزيز ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [1].

رابعاً: الصيب :

قال - تعالى - ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [2].

ويراد به المطر الذي يصوب، أي ينزل ويقع .. ويقال للسحاب صيب - أيضاً - .. والصيب من صاب يصوب، يناظر ساد يسود فهو سيد .. وصاب الماء وصوب: صبه وأراقه[3].

قال الراغب الأصفهاني : هو الماء النازل من السحاب على قدر المنفعة، أو هو السحاب الذي يحمل الصوب وهو الماء[4].

وتدلنا القرائن المذكورة في الآية(ظلمات .. ورعد .. وبرق) وجعلهم أصابعهم في آذانهم وغيرها على أن الصيب هو : المطر الشديد الغزير .. ولا يشترط فيه أن يكون للعذاب فقد يرجى نفعه .. يؤيد ذلك ما روي عن عائشة أن رسول الله (ﷺ) كان إذا رأي المطر قال : (اللهم صيباً نافعاً)[5].

---

(1) يراجع التفسير العلمى المعاصر وأثره فى كشف الإعجاز العلمى للقرآن الكريم للدكتور/سليمان بن صالح القرعاوى، ص: 103، ط دار العلم للملايين والآية 11 من سورة الأعراف.

(2) سورة البقرة، آية: 19.

(3) ينظر لسان العرب لابن منظور، 432/7 مادة صوب، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت.

(4) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى، ص 495، ط دار القلم، دمشق.

(5) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الإستسقاء باب ما يقال إذا أمطرت 477/2 رقم الحديث 1032 تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ط دار الطوق النجاة الأولي 1422هـ.
- والإمام أحمد فى مسنده 41/6 رقم الحديث 24190، ط مؤسسة قرطبة، القاهرة - وأخرجه صاحب كتاب مسند ابن الجعد أبوالحسن الجوهرى 332/1، ط مؤسسة نادر، بيروت، الأولى 1410هـ.

خامساً: الوابل :

ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات .. الأولى في معرض الحديث عن المنفق رياءً، وذلك في قوله - تعالى- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [1].

والثانية والثالثة في معرض الحديث عن المنفق ابتغاء مرضات الله-تعالى -، وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [2].

والوابل: هو المطر القوى الغزير عظيم القطر .. أو كما يقول أهل اللغة: المطر الثقيل القطار[3].

سادساً: الطل :

ورد ذكره مرة واحدة في قول الله -عز وجل - :﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [4].

وهو مطر ضعيف .. وقد يسمى (الندي) طلاً .. وقال الإمام الراغب وغيره: الطل : أضعف المطر، وهو يحسن الأرض، وهو الصغير القطر الدائم[5].

---

[1] سورة البقرة، آية: 264.

[2] سورة البقرة، آية: 265.

[3] يراجع المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وغيرهما 1009/2، تحقيق: مجمع اللغة العربية ط دار الدعوة - ومختار الصحاح للرازى - محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر - 740/1 تحقيق: محمود خاطر، ط مكتبة لبنان، بيروت - والعين للفراهيدى، 338/8، تحقيق: د. مهدى المخزومى وغيره، ط دار ومكتبة الهلال.

[4] سورة البقرة، آية: 265.

[5] يراجع المفردات للراغب الأصفهانى، ص 305، ط دار الخلود للتراث. - والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري- إسماعيل بن حماد - 1752/5، ط دار العلم للملايين، الرابعة 1407هـ.

وقال العلامة الماوردى - رحمه الله - : وزرع الطل أضعف من زرع المطر، وأقل ريعاً، وفيه - وإن قل - تماسك ونفع[1].

سابعاً: البرد :

ورد في قول الله - عز وجل- : ﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾ [2].

وهو المطر ينزل على هيئة حبيبات متجمدة، وقد تكون حبيبات كبيرة.

وقال في اللسان: البرد: هو المطر الجامد، والبرد: حب الغمام، تقول منه بردت الأرض وبرد القوم أصابهم البرد[3].

والبرد ماء نازل من السماء على هيئة الجبال .. أو جبال في السماء ينزل منها البرد .. أو غير ذلك، ولكن هذا الماء تجمد لبرودة الهواء[4].

ويرى علماء الدراسات الفضائية والأرصاد أن البرد هو: حبات الثلج التي تتجمد حتى يصير حجمها كالبرتقالة، وتسقط في شكل كرات كالأمطار، وتكون داخل السحب الركامية الممطرة نتيجة تكثف قطرات الماء داخل السحب فتجمدها على شكل كرات صغيرة بسبب ثقلها[5].

ويسقط البرد عادة أثناء هبوب العواصف الرعدية، إلا أنه سرعان ما يذوب ويتحول إلى ماء سائل.

يقول العلامة ابن عاشور- رحمه الله - جعل الله - سبحانه وتعالى - نزول البرد إصابة؛ لأن الإصابة إذا أطلقت في كلامهم دلت على أنها حلول مكروه، ومن ذلك سميت المصيبة الحادثة مكروها .. والبرد إصابة لأنه يفسد الزرع والثمرة[6].

---

(1) يراجع النكت والعيون للماوردى، 340/1، ط مؤسسة الكتب الثقافية.

(2) سورة النور، آية: 43.

(3) ينظر: لسان العرب لابن منظور 82/3، مادة برد ط دار صادر.

(4) يراجع الكشاف للزمخشرى 79/3 - 80 ، - تفسير الفخر الرازى 14/24 ،- تفسير الإمام النسفى 148/3 ط دار الفكر.

(5) يراجع الماء فى القرآن والسنة والعلوم الحديثة للأستاذ/ عبدالمقصود السعيد، ص 59 ، العدد 126، ط وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(6) يراجع التحرير والتنوير لابن عاشور 210/18 ط الدار التونسية.

ثامناً: الغَدق :

وقد ورد في قول الله – تعالى- ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ [1]. وهو المطر الكثير العام[2].

يقال: غدقت العين تغدق فهي غدقة: إذا كثر ماؤها[3].

وتخصيص الماء الغدق بالذكر: لأنه أصل المعاش، وكثرته أصل السعة. فقد قيل: المال حيث الماء، ولعزة وجوده بين العرب[4].

تاسعاً : الثجاج :

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾ [5].

والثج: هو الصب الكثير، وثجاج: مصبوب .. ومطر ثجاج: شديد الانصباب جدا[6].

وفى فتح القدر: الثجاج: المنصب بكثرة على جهة التتابع[7].

ومنه قول النبي (ﷺ): (أفضل الحج العج والثج)[8]. أي رفع الصوت بالتلبية، وصب دماء الهدى.

---

(1) سورة الجن، آية: 16.

(2) يراجع الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للعلامة الجوهرى ص715 ط دار العلم للملايين، بيروت.

(3) تفسير القرطبى 294/21، ط مؤسسة الرسالة.

(4) ينظر روح المعانى للعلامة الألوسى 90/29 ط دار إحياء التراث العربى، بيروت.

(5) سورة النبأ، آية: 19.

(6) لسان العرب لابن منظور 221/2 مادة ثج ط دار صادر، بيروت، – ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس– أبو الحسين أحمد بن فارس – 367/1 ط دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

(7) يراجع فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية للعلامة الشوكانى 422/5 ط دار الفكر، 1964م.

(8) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة آل عمران 225/5 رقم الحديث 447 وقال: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزى المكى، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى حفظه ط دار إحياء التراث العربي. – وأخرجه أبويعلى الموصلي =

ثانياً: الماء الموجود على الأرض :

وهو الماء الموجود في الغلاف الأرضي ويتمثل فيما يلي:

1 - الأنهار[1]:

تعتبر الأنهار مصدراً من مصادر المياه الموجودة على الأرض .. وتلك المياه تعتمد على كميات المطر المتساقطة على الأجزاء اليابسة من الأرض، وهى تمثل الجزء الزائد عن قدرة التربة على الامتصاص وهى تجرى نتيجة ذلك على سطح الأرض لتتجمع في الوديان مكونة الجداول والأنهار ومجارى السيول .. وهذا المعنى نجده واضحا في قول الله - تعالى - : ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [2].

ومن الملاحظ عند تأمل آيات القرآن التي تتحدث عن الأنهار نجد أن هذه الآيات قد قرنت بين الأنهار والجبال في الذكر. فقال- تعالى -: **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [3].

وقال- تعالى-: **﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [4].

وقال- تعالى - :**﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** [1].

= في مسنده 108/1 رقم الحديث 117 وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده حسن ط دار المأمون للتراث- الأولى 1404هـ - 1984م.

[1] الأنهار جمع نهر - بفتح فسكون - وهو الأخدود أو الشق أو المجرى الواسع فى الأرض الذى يجرى فيه الماء .. وقيل : هو الماء الجارى فى ذلك الأخدود - يراجع التحرير والتنوير لابن عاشور 354/1 - والمفردات للراغب ص 182.

[2] سورة الرعد، آية: 17.

[3] سورة الرعد، آية: 3.

[4] سورة النحل، آية: 15.

وتتجلي هذه العلاقة عندما نعلم أن المصدر الرئيس لمياه الأنهار هو أعلى الجبال والمرتفعات التي تتساقط عليها كميات هائلة من الأمطار أو الثلج والبرد .. وتلك المياه المتساقطة يتسرب جزء منها إلى باطن الأرض، والزائد عن ذلك ينساب من تلك المناطق المرتفعة متخذا طريقه المعروف بمجرى النهر .. وليست قمم الجبال هي المصدر الوحيد كمنابع للأنهار، ولكن يحدث- أحيانا- أن تتفجر الينابيع بقوة من باطن الأرض لتكون الجداول والأنهار .. يؤيد ذلك قوله- تعالى- : ﴿وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [2].

وقوله- تعالى- : ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً﴾ [3].

وقوله- تعالى- : ﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً﴾ [4].

فالأنهار منذ القدم مصدر للخير والنماء .. وهى شرايين الحياة .. وهى تمثل أيسر مصدر للحصول على المياه العذبة في الطبيعة .. كذا قال نوح - عليه السلام - مذكراً قومه بنعم الله عليهم ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ [5].

وقال فرعون وهو في زى الكبرياء والعظمة الكاذبة ﴿ونادي فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [6].

---

[1] سورة النمل آية: 61.

[2] سورة البقرة آية: 74.

[3] سورة الإسراء آية: 91.

[4] سورة الكهف آية: 33.

[5] سورة نوح آية: 12.

[6] يراجع الماء بين العلم وآيات القرآن الكريم للدكتور/ جمال عويس السيد، ص103، بتصرف وتدخل، ط دار الفجر للنشر 2003م. والآية 51 من سورة الزخرف.

2- البحـــــار :

جمع بحر، والبحر هو المكان الواسع الجامع أو الحاوي الماء الكثير، عذباً كان أو مالحاً ثم غلب بعد ذلك على المالح دون العذب، فصار لا يطلق إلا علـى المـالح، فاعتبر في اسمه اتساعه ثم ملوحته[1].

وقد ورد ذكر البحر في القرآن الكريم بالصيغ الثلاثة الإفراد .. والتثنيـة .. والجمع .. فمن الإفراد قوله -تعالى- : ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ [2].

ومن المثنى قوله- تعالى- : ﴿لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ [3].

ومن الجمع قوله- تعالى- : ﴿وَإِذَا الْبِحَـارُ سُـجِّرَتْ﴾ [4]. وقولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [5].

ومنه جمع القلة الوارد في قوله- تعالى- :﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْـدِهِ سَـبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [6].

وخلق الله - تعالى - لمياه البحار مالحة يحقق عدة أهداف من أهمها ما يلي:

1 - حفظ الماء نقيا من الكائنات التي تسبب فساده .. فلو كانت تلك المساحات الهائلة من المياه مياها عذبة لنمت فيها الطحالب والأوليـات التـي تتكاثر بسرعة في الوسط الملائم لحياتها وتكاثرها.

2-- الحفاظ على حياة الكائنات البحرية الحيوانية والنباتية .. وتعتبر البحار بمـا تحتويه من أحياء بحرية مصدرا هاما من مصادر الغذاء العالمي .. وتتميز الأغذية

---

[1] يراجع لسان العرب لابن منظور 41/4 ط دار صادر. - والمحكم والمحيط الأعظم لأبـي الحسن على بن إسماعيل بن سيدة المرسى 319/3 تحقيق: عبدالحميد هنداوى ط دار الكتب العلمية، بيروت 2000م.

[2] سورة الكهف، آية: 61. وينظر الآيات من نفـس الـسورة رقـم 63، 79، 109.و سـورة الرحمن، آية:24.

[3] سورة الكهف آية: 60. وينظر: فاطر آية: 12، والرحمن آية: 19.

[4] سورة التكوير آية: 6.

[5] سورة الانفطار آية: 3.

[6] سورة لقمان آية: 27.

البحرية بسهولة هضمها، وباحتوائها على عناصر غذائية غير متوفرة في لحوم الحيوانات أو الطيور التي تعيش على اليابسة، ومن أهم الأغذية البحرية الأسماك .. وقد صرح القرآن بذلك في قوله- تعالى - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [1]. وقوله- تعالى- : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [2].

3- اليـــــــم :

ورد لفظ اليم في القرآن الكريم ثمان مرات في سبع آيات جلها يدور حول خبر موسى- عليه السلام- مع آل فرعون وبني إسرائيل منها قوله - تعالى- : ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [3]. وقوله- تعالى -: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [4].

ويعرفه العلامة الألوسى- رحمه الله - بأنه : البحر، وينسب هذا إلى ابن عباس والسدى- رضي الله عنهم- ثم يقول : ويقع على ما كان ملحا عازقاً وعلى النهر الكبير العذب الماء[5].

وعرفه الزمخشرى بقوله: هو البحر الذي لا يدرك قعره .. وقال: قيل هو لجة البحر ومعظم مائه[6].

واليم يشتق من إحدى المادتين (ى م م) أو (أ م م) اللتين تنصرفان لدلالتين تقعان على معنى التولي والقصد .. ذلك أن العرب ربما سمت المكان بما يحدث فيه أو يقصد إليه ..

---

[1] سورة المائدة آية: 96.

[2] يراجع الماء بين العلم وآيات القرآن الكريم للدكتور/ جمال عويس السيد، ص 105، ط دار الفجر للنشر. والآية: 14من سورة النحل.

[3] سورة طه، آية: 78.

[4] سورة الأعراف، آية: 136. وينظر الآيات من سورة طه رقم 39، 97. وسورة القصص الآيات 7، 40، وسورة الذاريات، آية: 40.

[5] يراجع روح المعانى للألوسى 55/9، ط دار الفكر، بيروت.

[6] يراجع الكشاف للزمخشرى 86/2، ط دار المعرفة، بيروت.

يؤيد ذلك الإمام الزمخشرى بقوله: واشتقاقه - أي اليم - من التيمم، لأن المستنفعين به يقصدونه .. قلت: ربما كان من الام- بتسهيل الهمزة- وهو القصد والتولي نحو الشئ[1].

وهو عربي في المشهور .. وقال ابن قتيبة: سرياني وأصله كما قيل : (يماً) فعرب إلى اليم"[2].

وقد فسر اليم بأنه نهر النيل خاصة، ولهذا ما يؤيده[3].

ومنه قول الزمخشرى: إن نهرا كبيرا كان يشرع من اليم إلى بستان فرعون، وهذا النهر لا يمكن أن يكون من البحر، لأن ماء البحر لا تسقى به البساتين[4].

ثالثاً: الماء الخارج من باطن الأرض :

عندما تحدث القرآن الكريم عن الماء الموجود في الأرض أشار إلى أن الأرض أعظم خزان لحفظ الماء فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [5].

ومن أهم مصادر الماء الموجودة في الأرض ما يلي:

1- الينابيع:

ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين، الأولى بلفظ المفرد وذلك في قول الله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ [6]. وذلك في معرض الآيات التي طلبها المشركون من رسول الله (ﷺ) وعلى أثرها يؤمنون.

والثانية بصيغة الجمع وذلك في قول الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [7].

---

(1) يراجع الكشاف للزمخشرى 86/2 بتصرف وتدخل.

(2) روح المعانى 36/9، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت.

(3) أعنى ورود لفظ اليم دائما مع قصة فرعون وقومه وبنى إسرائيل.

(4) يراجع الكشاف للزمخشرى 86/2.

(5) سورة المؤمنون، آية: 18.

(6) سورة الإسراء، آية: 90.

(7) سورة الزمر، آية: 21.

والينابيع جمع ينبوع - بفتح فسكون- وهو الموضع الذي ينبع منه الماء وقيل: هو العين الذي لا ينضب ماؤها .. والنبع خروج الماء من العيون[1].

وتوجد الينابيع في الجبال والأودية، وغالبا ما توجد أسفل صخرة أو منحدر، أو حيث يوجد شق أو أخدود ويؤدى إلى السطح[2].

2- العيـــــون الجارية :

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم كثيراً، وتكون بمعنى الماء الجاري الخارج من الأرض فقال- تعالى- : ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [3]. وقال- تعالى- : ﴿**وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾ [4].

وإنما سمى هذا الماء عيونا: تشبيها بعين الإنسان لما فيها من الماء، ولصفاء الماء فيها[5].

كما أنها تكون بمعنى الماء الجاري في الجنة الـذي أعـده الله - تعـالى - للمتقين فقال- تعالى- : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ [6]. وقال- تعالى- : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ [7]. وقال- تعالى- ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِـي ظِلالٍ وَعُيُونٍ**﴾ [8].

---

[1] يراجع لسان العرب لابن منظور 345/8 ط دار صادر، بيروت - الـصحاح تـاج اللغـة وصحاح العربية للجوهرى 1287/3، ط دار العلم للملايين - المفردات للراغب الأصـفهانى ص482، ط دار الخلود للتراث.

[2] يراجع كوكب الأرض ظواهره التضاريسية الكبرى حسن سيد أبـوالعينين، ص294، ط دار النهضة العربية، الخامسة 1979م.

[3] سورة البقرة، آية: 60.

[4] سورة القمر، آية: 12.

[5] يراجع المفردات للراغب ص 355 ط دار الخلود . - و معجم مقاييس اللغة لابـن فـارس 162/4 مادة عين. ط اتحاد الكتاب العربى.

[6] سورة الدخان، آية: 51 - 52.

[7] سورة الذاريات، آية: 15.

[8] سورة المرسلات، آية: 41.

ولفظ العيون يشير إلى صفاء الماء وسيولته، أما لفظ الينابيع فيشير إلى خروج الماء وحده دون جهد واستمرار خروجه وجريانه.

كما أن الينبوع أكثر تدفقا للماء من العين[1].

3- الآبـــــــار :

ورد ذكرها في القرآن الكريم مرة واحدة مفردة في قوله- تعالى-﴿**فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ**﴾ [2].

يقول العلامة النسفى: البئر المعطلة: المتروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها، أو هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستسقاء إلا أنها عطلت - أي تركت - لا يستسقى منها لهلاك أهلها[3].

ويلاحظ من كلام العلامة النسفى- رحمه الله - أنه مع وجود الماء في البئر يحتاج إلى بذل جهد لحفره وخروج الماء منه بخلاف العيون والينابيع.

والآبار: جمع بئر .. والبئر: حفرة في الأرض يستسقى منها الماء وتكون مستدير[4].

4- الجب :

وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين في سورة يوسف - عليه السلام -،- فقال تعالى- : ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [5]. وقال- تعالى- : ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ [6].

---

[1] يراجع قانون المياه فى الإسلام عبدالعزيز محمود المصرى، ص 46 ط دار الفكر، بيروت، دمشق.

[2] سورة الحج، آية: 45.

[3] يراجع تفسير النسفى 105/3، ط دار الفكر.

[4] يراجع روح المعانى للعلامة الألوسى 247/17 -والمفردات للراغب ص 66 ط دار الخلود.

[5] سورة يوسف، آية: 10.

[6] سورة يوسف، آية: 15.

والجب: هو البئر التي لم تطو، أي لم تبن بالحجارة ونحوها، وسمى بـذلك: إما لكونه في أرض جبوب - أي غليظة -، وإما لأنه قـد جـب - أي قطـع -، وغيابة الجب: قعره وما غاب منه عن عين الناظر[1].

---

[1] يراجع تفسير النسفى 213/2 ط دار الفكر. - و روح المعانى للعلامة الألوسـى 288/12. - و المفردات للراغب ص 85 ط دار الخلود للتراث.

المبحث الرابع

علاقة الماء بحياة الأرض وإخراج النبات والثمار

أولى القرآن الكريم موضوع الماء عناية كبيرة .. وربط ذكره في كثير من الآيات بإحياء الأرض الميتة التي ليس فيها أي مظهر من مظاهر الحياة، وذلك بإخراج النباتات التي تكون غذاء للإنسان ومرعى للحيوان .. وفي هذا حث للإنسان على تدبر قدرة الله - تعالى - والتفكر في بديع صنعه.

وللماء أهمية كبرى في حياة النبات نوضحها فيما يلي:

أولاً: الماء وإحياء الأرض الميتة :

في آيات القرآن الكريم نجد إطلاق الحياة على حياة الناس والأنعام وسائر ما يدب على الأرض، وحياة هؤلاء تكون بالروح، فإذا خرجت سمي ميتاً، وحياة القلوب والنفوس بالإيمان، وإن الكافر ميت قلبه، وحياة الأرض بالزروع والأشجار، وهذه الحياة لا تكون إلا بالماء، فإذا فقد الماء صارت أرضا ميتة، وفي هذا يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [1].

ويقول- تعالى - : ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [2].

ويقول- تعالى- : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [3].

---

[1] سورة البقرة، آية: 164.

[2] سورة النحل، آية: 65.

[3] سورة العنكبوت، آية: 63.

ويقول - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [1].

يقول العلامة ابن عاشور - رحمه الله - في قوله- تعالى- : ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ : معطوف على الصلة بالفاء لسرعة حياة الأرض إثر نزول الماء، وأطلقت الحياة على تحريك القوى النامية من الأرض، وهى قوة النبات استعارة؛ لأن الحياة الحقيقية هي ظهور القوى النامية في الحيوان فشبهت به، والمراد إحياء ما تراد له الأرض وهو النبات[2].

فالله - سبحانه وتعالى- أودع في إنزال الماء حياة الأرض، ويتمثل ذلك في حسنها ونضارتها وروائها وبهجتها وخضرتها، بخروج أصناف النبات وضروب الأعشاب وألوان الأزهار وأنواع الأشجار والثمار، وجريان الجداول بينها والأنهار، بحيث تروق للناظرين وتشوق السامعين.

وقال- تعالى- : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [3].

فالله- سبحانه- يرينا البرق من خلال السحب لنشعر بالخوف من الصواعق ونطمع في المطر أن ينزل من السماء لتحيا به الأرض بعد أن يبست، وفى ذلك دلالات لقوم يتدبرون الأمور.

يقول الدكتور عبد الرحمن عميرة: لقد شارك الماء ابتداء - بقدرة الله تعالى - في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات عندما تكون ملتهبة وصلبة لا تصلح لإنبات النبات، ولقد تم ذلك بتعاون الماء والعوامل الجوية الأخرى على تحويلها إلى تربة لينة سهلة، ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة، وذلك بإسقاط النيتروجين من الجو كلما أبرق، فاستخلصت الشرارة الكهربائية التي تقع في الجو النيتروجين الصالح للذوبان في الماء، والذي كان يسقط مع المطر، فأعاد إلى الأرض خصوبتها[4].

---

[1] سورة فاطر، آية: 9.

[2] يراجع التحرير والتنوير لابن عاشور 83/2 ط دار سحنون للتوزيع والنشر 1417هـ 1997م.

[3] سورة الروم، آية: 24.

[4] يراجع الحياة بين العلم والدين للدكتور عبدالرحمن عميرة ص102 ط دار الجيل 1998م.

وحياة الأرض بالماء لا تقتصر على إخراج النبات فحسب، بل هي حياة لكل من يعيش عليها وفيها من كائنات حية لا تستغني عن الماء ولا يمكن لها أن تعيش بدونه .. قال- تعالى- : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [1].

وقال- تعالى- : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [2].

يقول الشهيد سيد قطب – رحمه الله – : وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن الكريم بهذه البساطة حقيقة أن كل دابة من ماء قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعا وهو الماء[3].

والدليل على ذلك قوله- تعالى-﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَباً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [4].

فقد عطف- سبحانه وتعالى- إخراج الحب من الأرض والذي منه يأكلون، وجعل الجنات وتفجير العيون على إحياء الأرض الميتة، ومن المعلوم أن العطف يقتضي المغايرة .. وغاية ما يقال في العطف : إنه من باب عطف الخاص على العام .. وهذا يدل على أن الأشياء المعطوفة جزء من حياة الأرض .. أو مظهر من مظاهر حياة الأرض .. يقول العلامة البغوى – رحمه الله- : والخلاصة أن الماء أصل جميع الأحياء، وهو الذي ينزل إليه أمر التدبير والتكوين[5].

ويقر هذا ويؤيده العلم التجريبي حيث أثبت أن كل الكائنات الحية تحتاج إلى كمية من الماء للقيام بعملياتها الحيوية .. وتساعد المحاليل المائية بعض الكائنات على تحليل العناصر الغذائية إلى طاقة أو مواد لازمة للنمو وإصلاح ما تلف منها

---

[1] سورة الأنبياء، آية: 30.

[2] سورة النور، آية: 45.

[3] يراجع فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب 2523/4 ط دار الشروق.

[4] سورة يس، آية: 33 – 34.

[5] يراجع معالم التنزيل للعلامة البغوى – أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء 140/4، ط دار الفكر بيروت 1422هـ- 2002م.

.. لذا على كل كائن حي أن يتناول من الماء في حدود طبيعته وإلا سيموت، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [1].

ولم يقف الأمر عند ذلك بل أثبت علم الخلية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء .. كما أثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر لها مظاهر الحياة ومقوماتها .. فهل بعد كل هذا يعرضون؟ فلا يؤمنون بأنه لا إله إلا الله؟ [2].

ثانياً: الماء والأرض الهامدة .. والأرض الخاشعة :

قال الله- تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [3].

الآية الكريمة تخاطب في مجملها من هم في شك من البعث بعد الموت، وتؤكد قدرة الخالق على البعث، وتتبعث في إبداع وتدرج للحديث عن مراحل خلق الإنسان عبر الأرحام .. ثم ختمت الآية الكريمة الدلائل الإلهية ببيان قدرة الله – تعالى – بإنزال الماء على الأرض القاحلة اليابسة لتدب فيها الحياة وتتحرك وتزداد حجما ويرتفع سطحها بما تخللها من الماء والهواء، وما نتج عن ذلك من إنبات النباتات التي يروق منظرها فيبهرنا بحسنه ونبتهج لمرآته.

يقول أهل اللغة في هذا اللفظ الدقيق الموحى (هامدة): همد الشئ همودا: أي خمد وضعف .. وهمد الرجل: مات .. والأرض هامدة: جفت ولم تنبت .. وهمدت

---

[1] سورة الأنبياء، آية: 30.

[2] يراجع الماء فى القرآن والسنة والعلوم الحديثة عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود ص32 بتصرف وتدخل ط وزارة الأوقاف.

[3] سورة الحج، آية: 5.

النار : خمدت .. والهامدة: الأرض المستنة .. وهمودها: أن لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا عود ولم يصيبها مطر[1].

وعليه: فالأرض الهامدة التي لا حياة فيها، يابسة مجدبة قاحلة، وقد أخذ الشح منها كل مأخذ، فبدت صفراء شاحبة، فتدركها رحمة الله تعالى لتعيد رسم الصورة من جديد بألوان زاهية تعطى للحياة روحها، وللأشكال ألوانها.

قال العلامة الزمخشرى - رحمه الله - : إن الأرض إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه، وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة[2].

ولقد قرن الله - تعالى - بين خلق الإنسان وخلق النبات لأنهما يشتركان في أمور كثيرة منها:

1- خلق- سبحانه - الإنسان من تراب فقال- تعالى- : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾وكذلك خلق النبات من تراب فقال- سبحانه- : ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فالإنسان والنبات من أصل واحد وهو التراب.

2- حياة الإنسان بدأت بوجود الماء فقال- تعالى -: ﴿..ثُمَّ من نُّطْفَةٍ ..﴾ وقال- تعالى- : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [3]. وقال- تعالى- : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [4]. والمراد بالماء هنا النطفة التي منها خلق الإنسان. وكذلك حياة النبات بدأت بوجود الماء فقال تعالى : ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

وقد ورد أن الإنسان عند البعث ينبت كما ينبت البقل .. ففي الحديث الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): (ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوماً؟ قال رسول الله (ﷺ): أبيت، قال: أربعون شهرا؟ قال : أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت .. قال رسول الله (ﷺ): ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت

---

[1] لسان العرب لابن منظور 436/3 مادة همد ط دار صادر، بيروت - ومقاييس اللغة لابن فارس 8/6 مادة همد ط اتحاد الكتاب العربى.

[2] الكشاف للزمخشرى 162/6، ط إحياء التراث العربى، بيروت.

[3] سورة الفرقان، آية: 54.

[4] سورة السجدة، آية: 8.

البقل، ليس كل شئ من الإنسان إلا يبلى إلا عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) [1].

ما أشبه خلق الإنسان بالنبات .. فالإنسان ينبت - في الآخرة- من عجب الذنب كما ينبت النبات من الحب.

أما قوله "اهتزت": أي تحركت حركة شديدة .. يقال : هز الشئ فاهتز: أي حركة فتحرك بشدة، لأن الهز: هو التحريك الشديد .. والهزة الأرضية: هي الزلزلة، وهى أيضا النشاط والارتياح[2].

فالأرض تهتز بالنبات، لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة خفيفة، فسماه اهتزازا مجازيا.

وقيل: اهتز نباتها، فحذف المضاف .. والاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض[3].

وقوله (ربت): أي زاد حجمها فانتفخت وعلت .. يقال في اللغة ربا الشئ يربوا ربوا: أي زاد ونما .. والربوة والرابية : ما ارتفع من الأرض .. وكذلك الرباوة والربا: الزيادة في كل من المال والسلع بغير مقابل .. ويقال أربيت : أخذت أكثر مما أعطيت .. والربو : هو مرض النفس العالي .. ورباه تربية وتربـاه: أي تعهده بالعناية والرعاية حتى نما، وهذا لكل ما ينمو كالولد والزرع ونحوه[4].

---

(1) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب التفسير باب يوم ينفخ فى الصور 1881/4 رقم الحديث 4651 تحقيق د /مصطفي ديب البغا ط دار ابن كثير اليمامة – بيروت- الثالثة 1407هـ -1987م. - والإمام مسلم فى صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما بين النفختين 8/ 210 رقم الحديث 7603 ط دار الجيل . - وذكره محمد فؤاد عبدالباقى فى اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان 992/1 موقع مكتبة مشكاة.

(2) يراجع الصحاح فى اللغة للجوهرى 251/2 مادة هزز - والمعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وغيره 984/2 ط دار الدعوة.

(3) يراجع تفسير القرطبى 324/14.

(4) يراجع لسان العرب لابن منظور 423/5 ط دار صادر، بيروت - وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى - محمد بن عبدالرازق الحسينى أبو الفضل الزبيدي 1/ 237 ط دار الهداية .- المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية 326/1 ط دار الدعوة.

والأرض الخاشعة: التي وردت في قول الله – تعالى –:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1].

هي الأرض الذليلة .. قال في اللسان: الخاشع من الأرض ... ات الذي تثيره الرياح لسهولته فتمحو آثاره ... وقال الزجاج: الأرض الد ـعة: المتغبرة المتهشمة[2].

فالأرض الخاشعة: هي التي فيها حياة ونبات ولكنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، تترنح على شفا جرف هار، تستغيث بخشوع وتذلل وانكسار وذبول لما أصابها من جفاف وقلة ماء، ومن مظاهر الأرض الخاشعة: أنك تراها مليئة بالنباتات المختلفة في أنواعها وأشكالها ولكنها تشترك في كونها متهدلة الأغصان .. مصفرة الأوراق .. بأمس الحاجة إلى قطرات الماء لتستأنف نشاطها الحيوي الذي توقف أو كاد[3].

لذا ذكر سبحانه الإنبات عند الحديث عن الأرض الهامدة فقال: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ .. ولم يذكره عند الحديث عن الأرض الخاشعة لأن فيها النبات ولكنها تحتاج إلى الماء.

موقف العلم الحديث من اهتزاز الأرض عند نزول الماء عليها :

يرى العلم الحديث أنه عندما ينزل المطر على الأرض يختلط مع التراب وتنشأ قوى تدافع وتجاذب بين ذرات الماء وذرات التراب، وينتج عن ذلك ازدياد في حجم التراب .. إذ قوى التجاذب والتدافع تسبب اهتزاز ذرات التراب وزيادة حجمها.

والتعبير بقوله (هامدة): لا يعنى أن الأرض الجافة تتوقف فيها الحركة نهائيا، بل هناك حركة لذرات التراب ولكنها هامدة أي ضعيفة جدا، فإذا ما نزل عليها

---

[1] سورة فصلت، آية: 39.

[2] ينظر لسان العرب لابن منظور 71/8 مادة خشع ط دار صادر.

[3] يراجع العلم طريق الإيمان عبدالحميد الزندانى ص112: 114بتصرف وتدخل ط مكتبة القرآن، القاهرة.

الماء تبدأ جزئيات التراب بالاهتزاز .. فيختزن التراب كميات هائلة من الماء في داخله لفترة طويلة مما يؤمن الغذاء باستمرار لهذه النباتات.

لقد أودع الله- تعالى - خاصية التمدد واختزان الماء في جزيئات التراب ولولا هذه الصفة لم تستمر الحياة أبدا، فقد اكتشف العلماء أن التراب يتميز بتخزينه كميات ضخمة من الماء يمكن أن تبقى لسنوات طويلة.

كما أن الآية الكريمة - يعني قوله- تعالى -:﴿..وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ - تحدثت بدقة عن عملية مراحل الإنبات، فالرحلة تبدأ بإنزال الماء على هذه الأرض حيث يمتزج هذا الماء بذرات التراب، لتبدأ هذه الذرات بالاهتزاز المستمر مما ينتج عنه زيادة في حجم التراب وتمدده .. وبعد ذلك تبدأ الحبوب الموجودة في التراب بامتصاص هذا الماء، وتبدأ بالتمدد أيضا والنمو وتبدأ عملية الإنبات .. ومن عظمة القرآن الكريم أنه لخص كل هذه المراحل في ثلاث كلمات فقط (اهْتَزَّتْ ، وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ) [1].

ولم يقف العلم الحديث عند هذا .. بل فرق بين قوله- تعالى- : ﴿اهْتَزَّتْ﴾ وقوله- تعالى- : ﴿وَرَبَتْ﴾ بدقة علمية فائقة فقال: يشير- سبحانه- وتعالى في قوله- تعالى- : ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ إلى عملية انتفاخ التربة حيث تملأ الفراغات الموجودة بين حبيبات التربة.

فقوله ﴿اهتزت﴾: أي تحركت حبيبة التربة بشكل منفرد وبمعزل عن بقية الحبيبات المجاورة لها .. حركة خطية باتجاه واحد.

أما قوله ﴿ربت﴾: أي تحركت الحبيبات بصورة مجتمعة، فالتربة تتحرك وتنتفخ بجميع الاتجاهات، أي نمت وزادت[2].

---

[1] يراجع الإعجاز العلمى فى الماء والنبات تأليف أسامة نعيم مصطفى ص56 ط دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع 2009م .- ويراجع العلم طريق الإيمان عبدالمجيد الزندانى ص112: 114 بتصرف ط مكتبة القرآن ، القاهرة.

[2] يراجع المياه فى القرآن مناهج لتفسير الإشارات العلمية فى الآيات القرآنية للمهندس/أحمد عامر الديلمى ص147، ط دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م.

المبحث الخامس

الماء وأهميته في حياة الإنسان

إن حاجة الإنسان إلى الماء تفوق بمراتب حاجته إلى الطعام، حيث تشير الدراسات إلى أن الإنسان يمكن أن يعيش بدون غذاء لمدة أسبوع أو أكثر ولكن لا يمكنه البقاء حيا بدون ماء لأكثر من عدة أيام، لذا يمكن للجسم أن يخسر 40% من وزنه ويبقى حيا، أما خسارة الجسم الـ 10% من مائه فلها عواقب وخيمة، وإذا ما خسر من 20 إلى 22% من مائه فقد يؤدى الأمر إلى الموت[1].

فالماء أغلى ما في الحياة، بل هو أصل الحياة وبه قوامها ودوامها، واستمرارها واستقرارها، وإن أبلغ تعبير عن هذه الحقيقة قوله- تعالى- : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [2].

يقول العلامة ابن كثير - رحمه الله -: إن الماء أصل كل الأحياء[3].

يؤيد هذا ما روى عن أبى هريرة (ﷺ) قال: قلت يا رسول الله إنى إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن كل شئ، قال: كل شئ خلق من ماء .. قال: قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة؟ قال: أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام[4].

فالماء مهد الحياة الأولى، وأصل وجود الإنسان .. فقد خلق الله - تعالى - آدم - عليه السلام- من التراب الممزوج بالماء حتى صار طينا .. فقال- تعالى- : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [5].

---

(1) يراجع الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم محمد السيد أرناؤوط ص 274: 275 ط بدون.

(2) سورة المؤمنون، آية: 30.

(3) يراجع تفسير ابن كثير 339/5 ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية، 1420هـ - 1999م.

(4) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده 295/2 رقم الحديث 7919. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات ط مؤسسة قرطبة . - وابن حبان فى صحيحه كتاب البر والإحسان باب ذكر إيجاب دخول الجنة 261/2 رقم 508. وذكر مؤخرة الحديث فقط، ط مؤسسة الرسالة.

(5) سورة المؤمنون، آية: 12.

ثم جاءت ذريته - عليه السلام - من بعده مشاركة له في خلقه من المـــاء، فقال- تعالى- : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّـكَ قَدِيراً﴾ [1].

ويرى علماء الأجنة: أن الجنين يتخلق من الماء (ماء الرجل وماء المـــرأة) وماء الرجل هو المنى الذي يقذفه الرجل حين الجماع، وهذا المنى يتألف من مـــاء نسبته حوالي 85% من الماء، و 5% من عشرات المواد الكيميائية، و هرمونـــات وأملاح معدنية وغيرها، و 1% من السلالات، أي مجموعات الحيوانات المنويـــة، وتعدادها عادة مئة مليون في الملي لتر الواحد، علما بأن حيوانا منويا واحدا يكفـــى لتلقيح البويضة عند المرأة[2].

ولا تعطى النطفة نسلا إلا أذا أمناها الله - تعالى - بمعنى قدرها خلقا[3].
وهنا نقول : لعل إطلاق الماء على المنى، لأن نسبة الماء هي الغالبة في تكوينه، أو لأنه شبيه بالماء، أو لأنه بسبب قوله- تعالى- ﴿وَجَعَلْنَـــا مِنَ المَـــاءِ كُلَّ شَـــيْءٍ حَيٍّ﴾ [4].

وأيا ما يكن هذا الماء، أهو الماء المهين الدافق الذي هو أصل حياتـــه[5]، أو هو الماء الموجود في جسده، أو الذي يحتاج إليه جسده عن طريق شـــرب المـــاء، وهو الذي يديم عليه حياته، ولا يستطيع أن يصبر عليه .. فكلا المعنيين مراد، وكلا الماءين سبب في حياته .. فلو لم يوجد الأول - الماء المهين - ما خلق ولا وجـــد، وإن لم يوجد الثاني أو حرم منه لا تدوم حياته، ولأجل بقاء الحياة وجد الماء[6].

---

[1] سورة الفرقان، آية: 54.

[2] يراجع من علم الطب القرآني عدنان الـــشريف ص 71 ط دار العلـــم للملايـــين، بيـــروت، 1990م.

[3] تفسير القرطبى 77/17 ط دار الكتب العلمية، بيروت، الخامسة 1996م.

[4] سورة الأنبياء، آية: 30.

[5] وهو المذكور في قول الله - عز وجل - : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّـــاءٍ دَافِـــقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ سورة الطارق الآيات: 5- 7.

[6] راجع حديث القرآن عن الماء للأستاذ الدكتور/ نبيل الجوهري ص24 بتصرف يسير. بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا. العدد 14 للعام 1424هـــ - 2003م المجلد الأول.

ويرى العلم الحديث: أن الماء يشكل العنصر الأساسي في بناء أجساد جميع الكائنات الحية .. فقد ثبت بالتحليل أن نسبة الماء في جسم الإنسان تتراوح بين 71% في الإنسان البالغ .. و 93% في الجنين ذي الأشهر المحدودة، بينما يكون الماء أكثر من 80% من تركيب دم الإنسان[1]

الوظيفة الدينية للماء في حياة الإنسان:

الماء يلعب دورا أساسيا في حصول الطهارة للإنسان، التي هي شرط لابد منه ومدخل ضروري للعبادة الصحيحة، إذ لا يمكن التوجه إلى عبادة الله -تعالى - بجسد أو ثوب غير طاهر أو مكان كذلك كما هو مفصل في كتب الفقه.

ومادة الطهارة الأساسية هي الماء، قال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾** [2]. وقال- تعالى-: **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾** [3].

يقول العلامة الراغب - رحمه الله - : الطهارة ضربان : طهارة جسم، وطهارة نفس، وحمل عليها عامة الآيات[4].

والماء في الشرع جاء لتنظيف ما يلحق الإنسان من أوساخ ونجاسات سواء في بدنه وملابسه، أو جميع مستلزمات حياته.

وقول النبي (ﷺ) : أريقوا على بوله ذنوبا من ماء[5].

يدل على تأكيد الرسول (ﷺ) على نظافة وطهارة المسجد والبيت. وطهارة الماء لا ترفع النجاسات المادية المعروفة فحسب، بل ترفع أيضا النجاسات المعنوية المتأتية عما يوجب الغسل أو الوضوء.

---

(1) يراجع الإعجاز العلمي في الماء والنبات تأليف أسامة نعيم مصطفى ص 124 ط دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2009م.

(2) سورة الفرقان، آية: 48.

(3) سورة الأنفال، آية: 11.

(4) يراجع المفردات للراغب الأصفهاني، ص: 307.

(5) وتمامه: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم - صلى الله عليه وسلم - : دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد 92/1 رقم الحديث 220 ط المكتبة السلفية 0

ومما يدل على أن الماء وسيلة تنظيف من الأوساخ المادية والمعنوية – أعني – الذنوب قول النبي (ﷺ): (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه في اليوم خمس مرات .. ترى هل يبقى من درنه شئ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شئ ..)[1].

الوظيفة الجمالية للماء في حياة الإنسان :

تتجسد هذه الوظيفة في مساهمة الماء في إضفاء حالة من الروعة والبهجة في النفس، تجعل الإنسان يحلق في آفاق من الرومانسية والخيال عند مشاهدة الأنهار في تدفقها ورونقها، والبحار في سحرها وجلالها، والشلالات في حسن مظهرها واندفاع مائها، والغابات والحدائق والبساتين التي يتسلل الجمال إليها مع قطرات الماء التي تروى عروقها فتكسوها خضرة ومهابة وروعة .. وهذا ما ألمح إليه القرآن الكريم في قوله- تعالى- : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَباً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [2].

---

[1] أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة 539/1 رقم الحديث 528 ط دار طوق النجاة . – وأخرجه ابن حبان فى صحيحه كتاب الصلاة باب ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به الأعمش 14/5 رقم 1726 ط. مؤسسة الرسالة – والنسائي في السنن الكبرى كتاب الصلاة الأول باب فضل الصلوات الخمس 143/1 رقم الحديث 323 ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 1411هـ – 1991م.

[2] سورة الأنعام، آية: 99.

المبحث السادس

القرآن الكريم يتحدث عن خزانات المياه الموجودة تحت سطح الأرض

القرآن الكريم عندما تحدث عن الماء أشار إلى أن الأرض أعظم خزان لحفظ الماء فقال- تعالى- : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [1].

والمتأمل لكلمة "فأسكناه" يلحظ أنها تدل على المكث لفترة طويلة وهو ما نراه في المياه الجوفية[2].

قال صاحب المحيط في اللغة: سكن يسكن سكونا إذا ذهبت حركته، وهو مستعمل في الريح والمطر والغضب وغيرها... والماء الساكن: الراكد[3].

والمياه الساكنة في الأرض تبقى فترة طويلة ساكنة دون أن تفسد أو تذهب أو تتفاعل مع صخور الأرض.

يقول العلامة القرطبي: هذه الآية الكريمة من نعم الله – تعالي – علي خلقه،ومما امتن به عليهم ...حيث أخبر – سبحانه – أن الماء الذي أنزله من السماء قد استودعه في الأرض،وجعله فيها مختزنا لسقي الناس ،يجدونه عند الحاجة إليه، وهو ماء الأنهار والعيون وما يستخرج من الآبار[4].

فمن الذي أودع في الماء خصائص تجعله قابلا للتخزين آلاف السنين؟ ومن الذي أعطى لقشرة الأرض ميزات تجعلها تحتضن هذه الكميات الضخمة من المياه وتحتفظ بها؟ أليس هو الله عز وجل ؟

---

[1] سورة المؤمنون، آية: 18.

[2] وهى المياه الموجودة فى باطن الأرض، وتوجد فى الفراغات البينية بين حبيبات التربة أو التشققات الصخرية، ويطلق عليها اسم المياه تحت السطحية .. وتعتبر من أهم مصادر الماء العذب .. وأصلها من الأمطار والأنهار والبحيرات بالإضافة لما يتسرب من مياه البحار.
– يراجع الماء بين العلم وآيات القرآن الكريم للدكتور جمال عويس السيد ص22، ط دار الفجر للنشر .

[3] ينظر المحيط فى اللغة الصاحب بن عباد 31/2 مادة سكن.

[4] يراجع تفسير العلامة القرطبي 23/15بتصرف يسير ط مؤسسة الرسالة .

يقول الأستاذ سمير المهداوى من علماء دراسة المياه والبيئة: إن الأمطار المتساقطة على الأرض تتسرب إلى مسامات التربة والفراغات بين الصخور وتخزن لآلاف السنين .. لذا نرى العلماء حديثا يهتمون بالمياه الموجودة تحت سطح الأرض كخزانات ضخمة وموارد محتملة للمستقبل، وهذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم بقوله- تعالى- ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ .

ولولا مسامية ونفاذ بعض صخور الأرض ما تجمع ماء المطر ولا سكن في الأرض، ولولا التغيرات الرأسية والجانبية في كل من المسامية والنفاذية ما أمكن خزن أي من ماء المطر ولا أمكن إسكانه في صخور الأرض على هيئة مكامن مائية لآلاف بل لعشرات الآلاف من السنين، إن لم يكن لملايين السنين في بعض الأحوال، حتى يستفيد به أجيال من الخلق، خزنه الله - تعالى - لهم بعلمه وقدرته وحكمته .. ولولا حفظ هذه المكامن المائية من أخطار الحركات الأرضية مثل التصدعات الأرضية، والثورات البركانية، والمتداخلات النارية ما بقيت تلك المكامن المائية بل دمرت بالكامل، ولذلك قال ربنا- تبارك وتعالى- : ﴿... وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [1]. وقال- تعالى- : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [2].

وقد يغور الماء المخزون في صخور القشرة الأرضية بتكون الصدوع والخسوف الأرضية، كما قد يغور بالضخ المفرط الزائد عن معدل تدفق الماء إلى البئر .. وفى الحالتين لا يحفظ الماء في صخور الأرض أو يعوضه إذا غار إلا رب العالمين ...

ويخرج الماء من تحت سطح الأرض بقوة وعنف إذا كان واقعا تحت ضغوط عالية، وقد يخرج بطريقة طبيعية على هيئة العيون والينابيع الطبيعية، التي قد تشارك في تغذية بعض الأنهار والبحيرات، ولكن إذا كان الماء تحت سطح الأرض يقع تحت ضغوط منخفضة فإنه لا يمكن الوصول إليه إلا بتشقق الأرض عنه أو بالحفر عليه.

---

[1] سورة المؤمنون، آية: 18.

[2] سورة الملك، آية: 30.

ويصف القرآن الكريم هاتين الحالتين بقوله - تعالى - : ﴿وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [1].

وتختلف درجة اتصال هذه الفراغات والمسامات مع بعضها بعض باختلاف الصخور الخازنة للماء، وتعرف هذه الخاصية باسم النفاذية .. ويستدل بها على قدرة الصخور في إنفاذ السوائل من خلالها، علماً بأن حركة السوائل في الصخور بطيئة بصفة عامة، وإن كانت في حركة دائبة، ولولا هذا الإعداد المتقن لصخور الأرض .. ولولا الإحكام الشديد في دورة الماء حول الأرض .. ولولا إخراج الماء أصلا من الأرض، ما أمكن لهذا الكوكب أن يكون صالحا للحياة من أي شكل ولون .. لذلك يمن علينا ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [2].

فهذه حقائق تشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، كما تشهد لمحمد (ﷺ) بالنبوة والرسالة، لأنه لم يكن لأحد في زمن البعثة المحمدية علم بهذه الحقائق العلمية[3].

كما يعد الغلاف الجوى – أيضا – خزانا للمياه حيث يحتوى على نسبة من بخار الماء والغيوم بشكل دائم، وتبلغ كميات الماء الموجودة في الغلاف الجوى حوالي 12900 كيلومتر مكعبا.

وتعتبر الأنهار خزانات جيدة للماء، وعلى الرغم من مضى ملايين السنين على وجود هذه الأنهار فإن الماء لا يزال عذبا وصالحا للشرب .. والسر في ذلك هو أن هذا الماء في حالة حركة مستمرة، فالنهر هو وسيلة الاتصال بين الينابيع العذبة والمياه السطحية الناتجة عن الأمطار من جهة وبين ماء البحر من جهة أخرى .. إذا هناك تحول دائم من الماء العذب إلى المالح وعلى الرغم من ذلك تبقى كميات المياه العذبة والمالحة متوازنة ولا يطغى هذا الماء على ذاك مع مرور آلاف

---

[1] سورة البقرة، آية: 74.

[2] سورة المؤمنون، آية: 18.

[3] يراجع دليل الدراسة البيئية للأستاذ سمير المهداوى ص 63: 64 بتصرف وتدخل ط الدار العربية للنشر والتوزيع 1995م.

الملايين من السنين .. وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [1].... كما تعتبر الجبال من أعظم خزانات الماء، وهـذا الأمـر سنوضحه - إن شاء الله - تعالى - خلال المبحث القادم.

---

[1] يراجع كوكب الأرض ظواهره التضاريسية الكبرى حسن سيد أبوالعينين ص 294 بتـصرف وتدخل ط دار النهضة العربية، بيروت، الخامس 1979م . - والآيتان 19: 20 من سـورة الرحمن.

المبحث السابع

العلاقة بين الجبال[1] والماء العذب الفرات

ربط القرآن الكريم بين الجبال والماء العذب الفرات الذي جعله الله - تعالى - سائغا للشاربين، وذلك من خلال آية من آيات القرآن تتجلى فيها حقائق علمية كشف عنها العلم الحديث فيما بعد ألا وهي قول الله - عز وجل -: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتاً﴾ [2].

والرواسي من الجبال: هي الثوابت الرواسخ، رسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله في الأرض[3].

وجمع على فواعل لوقوعه صفة لمذكر غير عاقل، وهذا امتنان بخلق الجبال لأنهم كانوا يأوون إليها وينتفعون بما فيها من كلأ وشجر، قال - تعالى -﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [4].

والشامخات: المرتفعات .. ومنه يقال: شمخ بأنفه: إذا رفعه كبرا[5]. وشمخ الجبل: علا وطال[6].

والماء الفرات: هو شديد العذوبة .. المستساغ المذاق.

---

(1) الجبال: هي الأراضي التي تبدو مرتفعة المنسوب لما يجاورها من أراضي، ويحدد بعض الجيولوجيين أن الجبال تقع فوق منسوب 2000 قدم فوق مستوى سطح البحر، والجبل جزء لا يتجزأ من قشرة الأرض الصلبة، له جذوره العميقة فيها. يراجع كوكب الأرض ظواهره التضاريسية الكبرى حسن سيد أبوالعينين ص 475 ط دار النهضة العربية، بيروت، الخامسة 1979م.

(2) سورة المرسلات، آية: 27.

(3) يراجع لسان العرب لابن منظور 216/5 ط إحياء التراث العربي.

(4) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور 399/29 ط الدار التونسية. والآيتان : 32 - 33 من سورة النازعات.

(5) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 160/19 ط عالم الكتاب، الرياض 1423هـ.

(6) القاموس المحيط للفيروزآبادي 325/1 مادة شمخ، ط دار السعادة بمصر.

يقول ابن فارس: الفاء والراء والتاء كلمة واحدة، وهى الماء الفرات، وهو العذب، يقال: ماء فرات، ومياه فرات[1].

ويؤكد عذوبته العلامة الفيروزابادى بقوله: وهو الماء العذب جدا[2].

وتظهر العلاقة بين الجبال الشامخات والماء العذب الفرات وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: تعمل الجبال على تنقية المياه مما علق بها من الشوائب :

فإن الماء عندما ينزل من السماء ويتسرب عبر طبقات الجبل ومسامه وبين صخوره فإنه يخضع لعمليات تنقية متعددة .. وكما نعلم من محطات معالجة المياه أنه كلما مرت المياه عبر مراحل تصفية (فلترة) أكثر كلما كان الماء أنقى .. وفى حالة الجبال التي ترتفع عدة كيلومترات، تعمل هذه الجبال كأفضل جهاز لتنقية المياه على الإطلاق، ولا يمكن للإنسان مهما بلغ من التقدم العلمي أن يقلد هذه العمليات التي تتم عبر الجبال..

وكأن الله - سبحانه وتعالي - أراد أن يعلمنا من خلال قوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتاً**﴾ [3] أسلوب تنقية المياه، فنحن نعلم اليوم أن العلماء يستخدمون طبقات متنوعة الكثافة والسماكة هذه الطبقات تحتوى على مسامات ذات أقطار ميكومترية دقيقة جدا ويتم تمرير الماء من خلالها فتعلق الرواسب والشوائب والكائنات الدقيقة فيها، كذلك الجبال تساهم في تنقية الماء مما علق به من فيروسات ومواد ملوثة.

كما أن الماء النازل من السماء المتسرب عبر الصخور الموجودة في الجبال يمتزج ببعض المعادن والأملاح الموجودة في تلك الصخور ويكتسب الطعم المستساغ، وهذا ما عبر عنه البيان الإلهي بكلمة (فراتاً)، ولولا وجود الجبال والصخور وانحلال هذه المواد في الماء لم يكن للماء أي طعم يذكر، لذا نلاحظ أن المياه العذبة توجد غالبا بالقرب من الجبال العالية.

---

(1) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس 498/4 ط دار الفكر 1399 هـ- 1979م.

(2) القاموس المحيط للفيروزآبادى 201/1 مادة فرت.

(3) سورة المرسلات، آية: 27.

والعلماء ينظرون إلى الجبال كأبراج ماء ضخمة .. فسبحان الله الذي أحسن كل شئ خلقه[1].

ثانياً: الجبال خزانات عظيمة تتجمع فيها مياه الأمطار :

الجبال هي العامل الرئيس في تخزين المياه العذبة، ولولا الجبال لذهبت أكثر المياه المتساقطة من السماء إلى البحر دون أن تختزن في الأرض .. ولكن من فضل الله ورحمته بنا أن جعل الجبال تحتفظ بكميات هائلة من مياه الأمطار لتخرج ينابيع وعيوناً وأنهارا يستفيد منها الإنسان والحيوان والنبات.

يقول العلامة الفخر الرازي - رحمه الله -: إن الجبال سبب في توليد الأنهار على سطح الأرض، وذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال، فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة، ثم إنها لكثرتها وقوتها تثقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فمنفعة الجبال في توليد الأنهار من هذا الوجه[2].

كما أن لوصف الرواسي بالشموخ في هذه الآية التي ذكر فيها إسقاء الماء الفرات دون الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر الرواسي مع الأنهار[3] دلالة على أن أغزر الأمطار تنزل على أكثر الجبال شموخاً، وكلما انخفض الجبل كلما قلت أمطاره، ويعلل العلماء ذلك: بأن الرياح الرطبة والباردة عندما تصطدم بالكتل الجبلية العالية ترتفع إلى أعلى فتضرب السحاب التي فوق الجبال فتبردها وتتساقط أمطارها[4].

---

(1) يراجع تنقية المياه فى القرآن الكريم مقال للمهندس/ عبدالدايم الكحيل بجريدة الشرق الأوسط. السبت 13 شعبان 1426هـ - 17 سبتمبر 2005م. العدد 9790 بتصرف وتدخل.

(2) ينظر التفسير الكبير للعلامة الفخر الرازى 138/9.

(3) مثل قوله تعالى ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا﴾. سورة الرعد آية: 3. وقوله تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي﴾. سورة النمل، آية: 61.

(4) يراجع الكون والإنسان بين العلم والقرآن بسام دفضع ص 95 : 96 ط اليمامة للنشر، دمشق، بيروت، الأولى 1414هـ - 1994م.

المبحث الثامن

دورة الماء في القرآن الكريم والعلم الحديث

تحدث القرآن الكريم عن جميع الحقائق المتعلقة بدورة الماء ونزول المطر بدقة فائقة وبشكل يتفق مع أحدث المعطيات والتقنيات العلمية .. فقد أشار الله - سبحانه وتعالى- إلى أن الماء الموجود في باطن الأرض والمخزون في صخورها بتقدير منه- سبحانه- يعود مصدره إلى ماء المطر ، فقال-تعالي- ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [1].

يقول العلامة ابن كثير - رحمه الله - ما نصه: يخبر- تعالى- أن أصل الماء في الأرض من السماء، كما قال - عز وجل- ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً**﴾ [2]. فإذا أنزل الماء من السماء كمن في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها، ولهذا قال- تبارك وتعالى- : ﴿**فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ...** ﴾00 وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء، ولكن عروقا في الأرض تغيره، فذلك قوله- تعالى- : ﴿**فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ**﴾... إلخ [3].

ومن عجائب قدرة الله - تعالى - وتقديره المحكم للأمور أن هذه الينابيع قد تتفجر في مناطق قاحلة لا يسقط فيها المطر، فيأتيها الماء من أماكن بعيدة على شكل أنهار تجرى عبر طبقات الصخور .. وبما أنه لا يمكن لكثير من الكائنات

---

[1] سورة الزمر، آية: 21.

[2] سورة الفرقان، آية: 48.

[3] يراجع تفسير العلامة ابن كثير 92/7 ط دا طيبة للنشر والتوزيع، الثانية 1420هـ - 1999م. والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره. تفسير سورة الرعد 49/8 رقم الأثر 12958.

الحية أن تعيش بدون الماء لفترة لا تتجاوز عدة أيام، فإن من فضل الله - تعالى - عليها أن قام بتوزيع مصادر الماء في كل ركن من أركان هذه الأرض لكي ينتشر البشر وبقية الكائنات الحية في جميع أرجاء الأرض .. وصدق الله العظيم القائل ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ، وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [1].

ويرى علماء الجيولوجيا: أن مياه الأمطار الساقطة على الأرض تتوزع كما يلي:

1- جزء يتبخر مباشرة ويعود إلى الغلاف الجوى.

2- جزء يجرى على السطح وتتكون منه الأنهار والجداول، ويسمى الماء المنطلق.

3 - جزء يدخل إلى التربة ويتسرب منها إلى الصخور التي تحتها، ويسمى الماء المتخلل، وهو الذي يتخلل إلى مستودعات المياه الجوفية.

والحقائق العلمية التي أثبتت أن مصدر المياه الجوفية من الأمطار لم تكن بجديدة في كتاب الله - عز وجل- حيث أشار إلى ذلك منذ مئات السنين بقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [2].

وقال- تعالى- : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [3].

لقد قدر الله - تعالى - برحمته نظاما محكما لتوزيع المياه على الأرض وفق دورة منتظمة ودقيقة وبمقادير محسوبة .. وهذه الدورة المائية المحكمة قد تحدث القرآن الكريم عن كل جزء من أجزائها، وعن كل مرحلة من مراحلها .. وبيانها كما يلي:

---

(1) يراجع قانون المياه في الإسلام محمود عبد العزيز المصري ص 46بتصرف وتدخل ط دار الفكر المعاصر ،بيروت الأولي 1421هـ - 1999م - والآيات 48 - 50 من سورة الفرقان.

(2) سورة المؤمنون، آية: 18.

(3) يراجع تسكين المياه فى الأرض للدكتور/ أحمد عبدالعزيز مليجى - أستاذ العلوم الجيولوجية بالمركز القومى للبحوث، بحث منشور فى مجلة الإعجاز العلمى، مكة المكرمة، العدد الحادى والعشرين ص 285 لسنة 1426هـ ، بتصرف يسير0 والآية 22 من سورة الحجر 0 .

أولاً: الشمس :

فهي محرك الدورة المائية، وهى التي تبث الحرارة والضوء اللازمان لتبخير الماء وتشكيل الرياح .. فقد وصفها سبحانه بالوهاج[1]. في قوله- تعالى- : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾ [2].

فالشمس تقوم بتسخين الماء في البحار والمحيطات فيؤدى ذلك إلى تبخر كميات كبيرة من الماء وتحولها إلى بخار ماء خفيف يصعد إلى ارتفاعات عالية بفعل الرياح، وهذه الكميات الكبيرة من بخار الماء يحددها الدكتور زغلول النجار بقوله:

تشير الدراسات الحديثة إلى أن حرارة الشمس تبخر من ماء الأرض سنويا 320.000 كيلو مترا مكعبا من أسطح البحار والمحيطات .. وتبخر 60.000 كيلومترا مكعبا من ماء اليابسة السطحي ومما تحت سطح الأرض ومن تنفس وإفرازات كل من الإنسان والحيوان .. وأن هذه الكمية المتبخرة من ماء الأرض تعود كلها إلى الأرض ثانية في نفس السنة، ولكن يعاد توزيعها بعلم الله ـــ تعالى ـ وحكمته، وبفضل منه ورحمة[3].

ثانياً: الرياح :

وهى المحرك الثاني لدورة الماء، وقد تحدث القرآن الكريم عنها بقوله- تعالى - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [4].

يقول ابن منظور: اللواقح من الرياح: التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب، فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا .. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ

---

(1) الوهاج: هو الجامع للنور والحرارة .. والمراد به الشمس.- تفسير النسفى 325/4 ط دار الفكر.

(2) سورة النبأ، آية: 13.

(3) يراجع الإشارات الكونية فى القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية للأستاذ الدكتور زغلول النجار، الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، مكة المكرمة، 6 من جمادى الآخرة 1424هـ - 4 أغسطس 2003م. بحث على الإنترنت.

(4) سورة الحجر، آية: 22.

﴿لَوَاقِحَ﴾ أي حوامل، جعل الرياح لقاحا لأنها تحمل الماء والسحاب وتقلبه وتصرفه ثم تستدره، فالرياح لواقح: أي حوامل على هذا المعنى[1].

وبهذا قال العلامة القرطبي - رحمه الله -: معنى لواقح : حوامل، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع .. قال الأزهري: وجعل الريح لاقحا: لأنها تحمل السحاب أي تقله وتصرفه، ثم تمر به فتستدره[2].

ويؤيد هذا ويؤكده العلم الحديث فيقول الأستاذ الدكتور/ زغلول النجار: إن هذا الكم الهائل من الماء قد أخرجه ربنا- تبارك وتعالى - على هيئة بخار الماء المتصاعد .. وقد هيأ له وسائل التكثيف من الرياح التي حملته إلى الأجزاء العليا من نطاق المناخ الذي يتميز بانخفاض درجة الحرارة فيه مع الارتفاع حتى تصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر، وبوصول بخار الماء إلى تلك المستويات يكثف على هيئة السحب، ثم لقحت الرياح تلك السحب بهباءات الغبار وغيرها من نوى التكثف حتى تكونت السحب الممطرة (المزن .. أو السحب المزنية) وتكونت فيها قطيرات الماء في بادئ الأمر دقيقة الحجم جدا حتى يتمكن هذا الجزء من الغلاف الغازي للأرض من حملها .. وبتكرار عملية التكثف يزداد حجم تلك القطيرات وكتلة كل منها بالتدريج حتى تسقط بمشيئة الله - تعالى - وتقديره على هيئة قطرات من المطر أو رشات من البرد أو الثلج جرت على سطح الأرض، وفاضت إلى منخفضاتها لتكون البحار والمحيطات .. وبتعرض الماء في تلك المنخفضات لأشعة الشمس يتبخر جزء منه .. وبذلك بدأت دورة الماء حول الأرض.

وماء المطر أثناء جريه على سطح الأرض يروى كلا من النبات والحيوان والإنسان، ويتسرب جزء منه إلى داخل القشرة الأرضية عبر الصخور المنفذة فيخزن فيها بمشيئة الله - تعالى - وإرادته وتقديره حتى يخرجه ربنا- سبحانه وتعالى - لنا على هيئة العيون والينابيع الطبيعية، أو يصل إليه الإنسان بواسطة حفر الآبار مختلفة الأعماق.

---

(1) يراجع لسان العرب لان منظور 579/2 مادة لقح ط دار صادر، بيروت.

(2) يراجع تفسير القرطبى 195/12 تحقيق الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركى - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 356/3 ط دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

ويقوم ماء المطر عند هطوله بتفتيت صخور الأرض .. كما يقوم بشق الفجاج والسبل، وتسوية سطح الأرض، وتلطيف الجو، والمحافظة على رطوبة الهواء، وبإذابة العديد من الأملاح التي في الصخور وحملها إلى البحار والمحيطات .....

ولولا هذه الدورة لماء الأرض لفسد وتعفن وأسن، لأن الأوساط المائية يعيش ويموت فيها البلايين من الكائنات الحية في كل لحظة .. لذلك يمن علينا ربنا - تعالى - في هذه الآية الكريمة وفى العديد من الآيات القرآنية بإنزال الماء طهورا مباركا ثجاجا من السماء، وفى ذلك يقول - سبحانه - : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [1].

وقوله- تعالى- : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [2]. وقوله- تعالى- : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾ [3].

وهذه الحقائق العلمية أنزلها ربنا من قبل أربعة عشر قرنا من الزمان[4].

---

[1] سورة الحجر، آية: 22.

[2] سورة المؤمنون، آية: 18.

[3] سورة الواقعة، آية: 68 -70.

[4] يراجع الإشارات الكونية فى القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية أ.د. زغلول النجار، بحث على الإنترنت. ويراجع الجغرافيا المناخية والنباتية عبدالعزيز طريخ شرف، ص198 جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، دار المعرفة الجامعية 2000م.

الخاتمـــــة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .. واستن بسنته .. وسلك مسلكه إلى يوم الدين .. ثم أما بعد :

فهذه رحلة إيمانية قرآنية علمية عطرة عشنا من خلالها في الرياض النضرة والبساتين الزاهرة المثمرة للقرآن الكريم وذلك من خلال موضوع :

(الماء في القرآن الكريم والعلم الحديث)

ومن خلالها توصلنا إلى ما يلي:

أولاً: الماء سر الحياة .. وأصل من أصولها التي لا يمكن لها أن توجد بدونه ..

ثانياً: اهتمام القرآن الكريم بالماء وأحواله ومصادره ومجاريه .. وذلك لأن المـــاء مصدر الحياة وأداتها .. ولعل في هذا ما يبرز الخصومات الشديدة التي كانت تحتدم بين القبائل العربية قديما بسبب الماء.

ثالثاً: القرآن الكريم تحدث عن دور الجبال في تنقية المياه .. ولم يكن لأحد به علم من قبل .. ويعتبر الباحثون اليوم الجبال كأهم مصدر للماء العذب ..

رابعاً: أكد القرآن الكريم على أن كمية الماء النازلة من السحاب إلـــى الأرض تـــم تقديرها بشكل دقيق .. حيث إن الزيادة في كمية الأمطـــار الـــساقطة علـــى الأرض قد تؤدى إلى تدمير الحياة عليها.

خامساً: أن القرآن الكريم تحدث عن الخزانات المائية الضخمة المختزنـــة تحـــت سطح الأرض والتي تزيد كميتها عن المياه العذبة الموجودة في الأنهار.

سادساً: أن بعض مياه الأمطار المتساقطة على الأرض تتسرب إلى مسامات التربة والفراغات بين الصخور، وتختزن لآلاف السنين من غير أن تتغير أو تتسن وهذا من رحمة الله – تعالى – بنا.

سابعاً: إن إنزال المطر من السماء – في الحقيقة – سر من أسرار الكون لا يعلمه إلا الله .. لأن فهم ذلك يحتاج إلى فهم كيفية إنشاء الـــسحب بـــصفة عامـــة، والسحب الممطرة بصفة خاصة، وهى عملية خارجة تماما عن طاقة القـــدرة الإنسانية مهما تطورت معارف الإنسان وارتقت تقنياته.

ثامنا: القرآن الكريم نصب للناس دلائل ربوبيته سبحانه في الموجودات، ونحلهم عقولا وبصائر يتمكنون بها من معرفة الله – تعالى – والاستدلال بها على وحدانيته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾[1].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وأصحابه الأخيار.

---

[1] سورة البقرة آية 286.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم :

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطى ط دار الفكر، بيروت 1415هـ - 1995م.
- التحرير والتنوير لابن عاشور ط الدار التونسية، وطبعة دار سحنون للتوزيع والنشر 1417هـ - 1997م.
- تفسير ابن كثير ط دار طيبة للنشر والتوزيع الثانية 1420هـ - 1999م.
- تفسير الفخر الرازي ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى 1421هـ - 2000م.
- تفسير النسفى للعلامة أبى البركات عبد الله النسفي ط دار الفكر.
- الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي ط مؤسسة الرسالة بيروت الأولى 1427هـ - 2006م. وطبعة دار عالم الكتب الرياض.
- الدر المنثور في التفسير المأثور للعلامة السيوطي ط الأنوار المحمدية، القاهرة، 1410هـ.
- روح المعاني للعلامة الألوسى ط دار الفكر، بيروت 1414هـ - 1994م. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية محمد بن على الشوكانى ط دار الوفاء. وطبعة دار الفكر 1964م.
- الفتوحات الإلهية للجمل ط عيسى البابى الحلبي، القاهرة.
- في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ط دار الشروق.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة الزمخشرى أبى القاسم محمود بن عمر الخوارزمي- ط دار المعرفة 0بيروت 0
- معالم التنزيل للبغوى ط دار طيبة للنشر والتوزيع. وطبعة دار الفكر بيروت 1422هـ - 2002م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ط الهيئة المصرية العامة.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط دار القلم دمشق. وطبعة دار الخلود، القاهرة.
- النكت والعيون للما وردى ط مؤسسة الكتب الثقافية.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

ثانياً : كتب الحديث وشروحه .

- سنن الترمذي- محمد بن عيسي أبو عيسي- ط دار المأمون للتراث الأولى 1404هـ - 1984م. وطبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- السنن الكبرى للإمام البيهقى-أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي - ط دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ . وطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الأولى 1344هـ.
- صحيح البخاري -أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - ط دار طوق النجاة الأولي 1422هـ.وطبعة دار ابن كثير - اليمامة بيروت، الثالثة 1407هـ -1987م .
- مسند ابن الجعد أبو الحسن الجوهري ط مؤسسة نادر بيروت، الأولى 1410هـ.
- مسند الإمام أحمد - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال - ط مؤسسة قرطبة القاهرة.
- مصنف عبد الرازق ط المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية 1403هـ.
- موطأ الإمام مالك - مالك بن أنس بن مالك بن عامر - ط دار القلم دمشق الأولى 1413هـ- 1991م.

ثالثاً: كتب اللغة ومعاجمها :

- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى - محمد بن عبد الرازق الحسيني أبى الفضل - ط دار الهداية.
- سر البلاغة للأمير محمد عبد الله بن سنان الخانجى الحلبي ط دار الكتب العلمية بيروت 1402هـ - 1982م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للعلامة الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطا - ط دار العلم للملايين، بيروت.
- العين للفراهيدى تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وغيره ط دار ومكتبة الهلال.
- القاموس المحيط للفيروزابادى ط دار السعادة بمصر.
- الكامل في اللغة والأدب لابن المبرد - محمد بن زيد أبو العباس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر العربي- القاهرة الثالثة 1417هـ.
- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت. وطبعة دار إحياء التراث العربي.
- المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيدة المرسى تحقيق عبد الحميد هنداوى ط دار الكتب العلمية بيروت 2000.
- مختار الصحاح للرازي- محمد بن أبى بكر عبد القادر - تحقيق حمود خاطر ط مكتبة لبنان بيروت 1415هـ - 1995م.
- المخصص لابن سيدة - أبو الحسن على بن إسماعيل النحوي الأندلسي - تحقيق خليل إبراهيم جفال ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى 1417هـ - 1996م.
- المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وغيرهما تحقيق مجمع اللغة العربية ط دار الدعوة.
- مقاييس اللغة لابن فارس - أبو الحسين أحمد - ط اتحاد الكتاب العربي 1423هـ - 2002م.

رابعاً: كتب العلوم الحديثة :

- أسرار السموات والأرض في القرآن الكريم على محمد غصن ط دار العلم للملايين 2006م.
- الإعجاز العلمي في السماء والأرض أسامة نعيم مصطفى ط دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع 2009م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم محمد السيد أرناؤوط بدون.
- الإعجاز العلمي في الماء والنبات أسامة نعيم مصطفى ط دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع 2009م.

- التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم للدكتور سليمان بن صالح القرعاوى ط دار العلم للملايين.
- الجغرافيا المناخية والنباتية عبد العزيز طريخ جامعة الإمام محمد بن سعود المملكة العربية السعودية ط دار المعرفة الجامعية 2000م.
- الحياة بين العلم والدين للدكتور عبد الرحمن عميرة ط دار الجيل 1998م.
- دليل الدراسة البيئية للأستاذ سمير المهداوى ط الدار العربية للنشر والتوزيع 1995م.
- العلم طريق الإيمان عبد الحميد الزندانى ط مكتبة القرآن، القاهرة.
- قانون المياه في الإسلام عبد العزيز محمود المصري ط دار الفكر بيروت الأولى 1421هـ - 1999م.
- كوكب الأرض ظواهره التضاريسية الكبرى حسن سيد أبو العينين ط دار النهضة العربية الخامسة 1979م.
- الكون والإنسان بين العلم والقرآن بسام دفضع ط اليمامة للنشر دمشق بيروت الأولى 1414هـ - 1994م.
- الماء بين العلم وآيات القرآن الكريم دكتور/ جمال عويس السيد ط دار الفجر للنشر 2003م.
- الماء في القرآن والسنة والعلوم الحديثة للأستاذ عبد المقصود السعيد عبد المقصود ط وزارة الأوقاف المصرية 1426 هـ- 2006م.
- من علم الطب القرآني عدنان الشريف ط العلم للملايين بيروت 1990.
- المياه في القرآن مناهج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية للمهندس أحمد عامر الديلمى ط دار النفائس، بيروت، الأولى 1423هـ - 2002م.

- خامسا : الدوريات والمجلات العلمية :

- جريدة الشرق الأوسط السبت 13 شعبان 1426هـ - 17 ديسمبر 2005م، العدد 9790.
- حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا العدد 14 لعام 1424هـ - 2003م، المجلد الأول.

مجلة الإعجاز العلمي مكة المكرمة، العدد 21 لسنة 1426هـ.